أنا هارب من بلدي .. فرنسا

البوليس الفرنسي يفسد فاكهة الباعة الجزائريين

هل تؤدي محنة الجزائر الى حرب عالمية

ابناء فرنسا يؤيدون حركة التحرير الجزائرية

القاهرة — من احمد طلعت:

لم اكن اتصور وانا اهم بدق الباب لاصافحه عندما التقيت به في شارع ٢٦ يوليو في القاهرة ، انه هو نفسه فرنسكو ديلاجيس الاستاذ الفرنسي الذي درس لي في جامعة باريس . .

لقد رأيته لآخر مرة وأنا اسلم ، [illegible] من معهد العلوم السياسية ، وكانت آخر كلماته لي . . مبروك . .

وسمعت اعوام قبل إلتقائي به [illegible] في القاهرة فأردت [illegible] عندما التقيت به في اصالته يتسوق بينما انا متحيره لوجود استاذ فرنسي في مصر في مثل هذه الظروف .

لم يمض على العدوان الذي اشتركت فيه فرنسا على بورسعيد سوى بضعة شهور ، والعلاقات السياسية بين البلدين مقطوعة ، ومن الطبيعي ان لا تسمح مصر لرعايا فرنسا بدخول ارضها قبل ان تسوى جميع المشاكل القائمة بين البلدين . .

دارت هذه الاسئلة في راسي وانا اجذب فرنسكو ديلاجيس من يده في طريقنا الى نادي الجزيرة ، وعلى احدى موائده جلسنا نتحدث . .

سألت ديلاجيس : لماذا انت هنا في مصر . ؟ ؟ ؟

وقال الرجل ببساطة : لانني اعمل [illegible] السياسة بالادي في الجزائر ، واقف [illegible] الى جانب الجزائريين . .

واستمر ديلاجيس في سرد الرواية بنفس البساطة ، فقال انه طلب للتجنيد في فرنسا فهرب ، وقال انه كان يتجسس على السلطات الفرنسية في باريس لصالح الجزائر ، وقال كلاما خطيرا . .

فقلت : هلا رويت . لكل شيء . التي امتلها في مصر قصتك من اولها . . ؟ ؟ ؟

وبدا يروي القصة :

فرنسا مهد الحرية . .!

ترجع علاقتي بالجزائر الى سنوات كثيرة ، حين كنت اصادق كثيرا من الجزائريين الذين يعملون في فرنسا ، وكنت المس بنفسي ما هم عليه من بؤس وسوء حال ، فبينما يتقاضى الجزائري نحو خمسين دولارا في العام يتقاضى [illegible] ٧٠٠ دولار ، علما بان الجزائريين — في نظر فرنسا — يعتبرون مواطنين فرنسيين ، ولذلك كنت المس عن كثب حالتهم النفسية السيئة نتيجة للاوضاع السياسية التي وجدوا انفسهم فيها .

وكنت اظن — كما تعلمنا في المدارس — ان بلادي هي مهد الحرية والاخوة والمساواة ، ولكني كنت ارى بعيني كيف يعامل اخواننا الجزائريون معاملة دون معاملة الفرنسيين بكثير ، وكنت اسمع التعليل العجيب لهذه التفرقة وهو القول بان الجزائريين قد حضروا من بلادهم ليزاحموا الفرنسيين ويقاسموهم عيشهم ورزقهم ، بينما الحقيقة انهم كانوا يقومون في فرنسا بمزاولة اعنف الاعمال واشقها كتعبيد الطرق والعمل في المناجم ، وهكذا كنت اشعر بالعطف على هؤلاء الاخوان وعلى نفسيتهم العاذلة .

غادرت بعض الوقت للعمل في امريكا اللاتينية ، وعدت الى فرنسا والتقيت بصديق فرنسي كان يعمل مدرسا في الجزائر ، وحدثني الصديق طويلا عما شاهده هناك ، كيف تعيش الجزائر في ظل الحكم الفرنسي : ضغط واكراه في ابداء الراي ، قتل للحرية الشخصية والروح المعنوية ، فقر شديد يعم كل السكان ، وحالة نفسية منحطة نتيجة التفرقة بين الفرنسيين والجزائريين ، يعتقد الفرنسيون انهم من جنس ارقى واسمى ، وينعكس اعتقادهم هذا في تصرفاتهم مع الجزائريين اهل البلاد ، فيحتقرون اشخاصهم ، وينكرون عليهم الحضارة العربية العريقة التي يعرفها العالم كله .

كان صديقي يحدثني عن الجزائر ، «الجزائر الفرنسية» ، التي وجدت نفسه فيها يوما ما — بعد ذلك بسنوات — مضطرا لان يحارب في القطاع الذي كان يعيش فيه اخوانه من الثوار الجزائريين ، فزاد ذلك في سخطي وفي لوعتي النفسية .

وكنت قد انشأت مجلة حين كنت اعمل في امريكا اللاتينية ، وكنت اغذيها بالمقالات مهاجما الاستعمار ، ثم عدت الى فرنسا لاقوم بالتدريس في « جامعة باريس » وهي تضم عددا من الطلبة المثقفين مهندسين ، ومدرسين ، وفنيين من مختلف الجنسيات ، فمن ايطاليين ، الى المان ، الى روس ، الى امريكيين وغيرهم ، وكان الحديث بيني وبينهم يتناول في كثير من الاحيان موضوع الجزائر ، فكنت اعبر لهم عن آرائي بصراحة كاملة ، وكنت اعلن امامهم بانني وبعض المثقفين من الفرنسيين قد عزمنا على الا نكتفي بالحديث وسوف نحاول ان نعمل شيئا .

وعلمت الحكومة . .

ولما عرفت الحكومة امري كان لا بد ان تحاول اسكاتي والقضاء نهائيا على نشاطي ، وقررت تجنيدي وارسالي الى الجزائر رغم انني لم اكن ادخل في نطاق المطلوبين للتجنيد ، واستشرت في الحال اصدقائي ممن ينتمون الى جماعة « البعث الفرنسي » وهي جماعة تهدف بوجه عام الى القضاء على النظام الحاضر ، وهو نظام مفساد تماما للفكر العالمي ، كما ان هذه الجماعة ترى ان حركة الجزائر انما هي نتيجة طبيعية للمبادئ التي قررتها بلادنا عقب الثورة الفرنسية ، استشرت اصدقائي من محبي الحرية ووالقوا جميعا على اننا يجب ان نناضل حتى تحصل الجزائر على حريتها ، تلك الحرية التي تعتبر جزءا من حرية فرنسا باجمعها .

قررت اذن الا ابي طلب الحكومة في تجنيدها اياي وهربت ، وقبل ان اسرد قصة هربي احب ان اتحدث عن ذلك النشاط القليل الذي كان يتاح لنا ان نبذله لمساعدة اخواننا الجزائريين في فرنسا ، فمثلا كنا نرى اخواننا الجزائريين وهم يكادون يموتون من شدة البرد في ايام الشتاء ، حيث تصل درجة الحرارة ليلا الى ما يقرب من ١٨ او ١٩ درجة تحت الصفر ، وعندئذ كانوا لفقرهم لا يجدون غطاء كافيا يقيهم كثير من الاحوال يبيتون في الشوارع ، فكنت وزملائي نحمل اليهم ما نستطيع من مال وغطاء وكساء دون ان يعرف ذلك احد ، وكنا نعلم ان البوليس يهاجم في كثير من الاحيان تلك الاحياء التي يتجمع فيها الجزائريون ، ويقوم بحملات تفتيشية في الظاهر ، الا انه كان يقوم بتعذيبهم واساءة معاملتهم الى اقصى الحدود ، لذا نلجا الى طريق خاصة [illegible] التي سيقوم البوليس بمهاجمتها [illegible] من الجزائريين سرا [illegible] من يفلتوا من التعذيب [illegible]

في بلاد [illegible] . . !

وكثير من الجزائريين [illegible] الفاكهة على عربات في شوارع باريس ، فكان يحدث ان يقبض عليهم البوليس بحجة مراجعة اوراقهم ثم يقودونهم الى الاقسام حيث يحجزونهم يوما او يومين ريثما تفسد فاكهتهم التي يرتزقون منها ويتركونهم يموتون جوعا بعد ذلك ، فكنت وزملائي ننتشر في اماكن مختلفة لنرقب عمل البوليس هذا ، وحينئذ نتدخل في الامر ونحدث بعض الحركة والمقاومة حتى نفسد على البوليس خطته وهكذا كانت اشياء صغيرة يستطيع الفرنسيون الاحرار ان يقوموا بها لمساعدة اخوانهم الجزائريين .

واعود الى قصة هروبي من فرنسا فاقول انني تمكنت من ذلك معتمدا على شيء كثير من الحيلة اولا وعلى فساد التنظيم الحكومي ثانيا ، ففي منتصف شهر يونيو على وجه التقريب كنت اقوم مساء بالتدريس كالمعتاد ، واذا بزوجتي تحضر الى وتخطرني بوصول اشارة من البوليس لاستدعائي لتسلم امر التجنيد ، وبدات في تلك اللحظة ادرس الموقف وادبر خطة الهرب . كنت اعرف ان امامي ما يقرب من ثلاثة ايام لكي اسلم نفسي لادارة التجنيد ، ولكني كنت اعلم انني ان لم انفذ الامر الذي يبدأ البحث عني قبل ثلاثة او اربعة ايام اخرى ، اي انني قدرت لنفسي نحو اسبوع يجب ان اكون قد غادرت خلاله ارض فرنسا ، وفكرت اول الامر في ان ارحل الى احدى البلاد الاوروبية او الى امريكا اللاتينية او اي مكان اخر يمكن ان اجد فيه اصدقاء من تلاميذي وهم كثيرون ، استطيع ان اعتمد على مساعدتهم ولكني قررت اخر الامر ان الجأ وزوجتي وابنتي الى مصر ، ثم شرعت في تنفيذ الخطة .

تكاليف السفر . .

كان علي اولا ان ادبر تكاليف السفر وهي تقرب من مائة وخمسين جنيها ، ولم اكن املك منها الا مبلغا قليلا ، فكان علي ان اسرع في بيع ما استطيع بيعه من كتبي واثاث منزلي ، وكنت انزل الى الاسواق بهذه الاشياء محاولا بيعها باي ثمن وبدقيقة فان الوقت كان قليلا ، وكان المشترون يستغلون هذه الدقيقة في البيع فيساومونني كثيرا ، ثم يبارون لدهم جزءا من الثمن فعلى ان يؤدوه بعد ايام ، ولكني كنت مضطرا للقبول لانقاذ الموقف ، وبعد القضاء من بيع اثاثي حوالي ٧٠٠ دولار ، علما بان الجزائريين — في نظر فرنسا — يعتبرون مواطنين فرنسيين ، تسلك كنت المس عن كثب حالتهم النفسية السيئة نتيجة للاوضاع السياسية التي وجدوا انفسهم فيها .

وكنت اظن — كما تعلمنا في المدارس — ان بلادي هي مهد الحرية والمساواة ، ولكني كنت ارى بعيني كيف يعامل اخواننا الجزائريون معاملة دون معاملة الفرنسيين بكثير ، وكنت اسمع التعليل العجيب لهذه التفرقة وهو القول بان الجزائريين قد حضروا من بلادهم ليزاحموا الفرنسيين ويقاسموهم عيشهم ورزقهم ، بينما الحقيقة انهم كانوا يقومون في فرنسا بمزاولة اعنف الاعمال واشقها كتعبيد الطرق والعمل في المناجم ، وهكذا كنت اشعر بالعطف على هؤلاء الاخوان وعلى نفسيتهم العاذلة .

غادرت بعض الوقت للعمل في امريكا اللاتينية ، وعدت الى فرنسا والتقيت بصديق فرنسي كان يعمل مدرسا في الجزائر ، وحدثني الصديق طويلا عما شاهده هناك ، كيف تعيش الجزائر في ظل الحكم الفرنسي : ضغط واكراه في ابداء الراي ، قتل للحرية الشخصية والروح المعنوية ، فقر شديد يعم كل السكان ، وحالة نفسية منحطة نتيجة التفرقة بين الفرنسيين والجزائريين ، يعتقد الفرنسيون انهم من جنس ارقى واسمى ، وينعكس اعتقادهم هذا في تصرفاتهم مع الجزائريين اهل البلاد ، فيحتقرون اشخاصهم ، وينكرون عليهم الحضارة العربية العريقة التي يعرفها العالم كله .

كان صديقي يحدثني عن الجزائر ، «الجزائر الفرنسية» ، التي وجدت نفسه فيها يوما ما — بعد ذلك بسنوات — مضطرا لان يحارب في القطاع الذي كان يعيش فيه اخوانه من الثوار الجزائريين ، فزاد ذلك في سخطي وفي لوعتي النفسية .

وكنت قد انشأت مجلة حين كنت اعمل في امريكا اللاتينية ، وكنت اغذيها بالمقالات مهاجما الاستعمار ، ثم عدت الى فرنسا لاقوم بالتدريس في « جامعة باريس » وهي تضم عددا من الطلبة المثقفين مهندسين ، ومدرسين ، وفنيين من مختلف الجنسيات ، فمن ايطاليين ، الى المان ، الى روس ، الى امريكيين وغيرهم ، وكان الحديث بيني وبينهم يتناول في كثير من الاحيان موضوع الجزائر ، فكنت اعبر لهم عن آرائي بصراحة كاملة ، وكنت اعلن امامهم بانني وبعض المثقفين من الفرنسيين قد عزمنا على الا نكتفي بالحديث وسوف نحاول ان نعمل شيئا .

وعلمت الحكومة . .

ولما عرفت الحكومة امري كان لا بد ان تحاول اسكاتي والقضاء نهائيا على نشاطي ، وقررت تجنيدي وارسالي الى الجزائر رغم انني لم اكن ادخل في نطاق المطلوبين للتجنيد ، واستشرت في الحال اصدقائي ممن ينتمون الى جماعة « البعث الفرنسي » وهي جماعة تهدف بوجه عام الى القضاء على النظام الحاضر ، وهو نظام مفساد تماما للفكر العالمي ، كما ان هذه الجماعة ترى ان حركة الجزائر انما هي نتيجة طبيعية للمبادئ التي قررتها بلادنا عقب الثورة الفرنسية ، استشرت اصدقائي من محبي الحرية ووالقوا جميعا على اننا يجب ان نناضل حتى تحصل الجزائر على حريتها ، تلك الحرية التي تعتبر جزءا من حرية فرنسا باجمعها .

قررت اذن الا ابي طلب الحكومة في تجنيدها اياي وهربت ، وقبل ان اسرد قصة هربي احب ان اتحدث عن ذلك النشاط القليل الذي كان يتاح لنا ان نبذله لمساعدة اخواننا الجزائريين في فرنسا ، فمثلا كنا نرى اخواننا الجزائريين وهم يكادون يموتون من شدة البرد في ايام الشتاء ، حيث تصل درجة الحرارة ليلا الى ما يقرب من ١٨ او ١٩ درجة تحت الصفر ، وعندئذ كانوا لفقرهم لا يجدون غطاء كافيا يقيهم كثير من الاحوال يبيتون في الشوارع ، فكنت وزملائي نحمل اليهم ما نستطيع من مال وغطاء وكساء دون ان يعرف ذلك احد ، وكنا نعلم ان البوليس يهاجم في كثير من الاحيان تلك الاحياء التي يتجمع فيها الجزائريون ، ويقوم بحملات تفتيشية في الظاهر ، الا انه كان يقوم بتعذيبهم واساءة معاملتهم الى اقصى الحدود ، لذا نلجا الى طريق خاصة [illegible] التي سيقوم البوليس بمهاجمتها [illegible] من الجزائريين سرا [illegible] من يفلتوا من التعذيب [illegible]

في بلاد [illegible] . . !

وكثير من الجزائريين [illegible] الفاكهة على عربات في شوارع باريس ، فكان يحدث ان يقبض عليهم البوليس بحجة مراجعة اوراقهم ثم يقودونهم الى الاقسام حيث يحجزونهم يوما او يومين ريثما تفسد فاكهتهم التي يرتزقون منها ويتركونهم يموتون جوعا بعد ذلك ، فكنت وزملائي ننتشر في اماكن مختلفة لنرقب عمل البوليس هذا ، وحينئذ نتدخل في الامر ونحدث بعض الحركة والمقاومة حتى نفسد على البوليس خطته وهكذا كانت اشياء صغيرة يستطيع الفرنسيون الاحرار ان يقوموا بها لمساعدة اخوانهم الجزائريين .

واعود الى قصة هروبي من فرنسا فاقول انني تمكنت من ذلك معتمدا على شيء كثير من الحيلة اولا وعلى فساد التنظيم الحكومي ثانيا ، ففي منتصف شهر يونيو على وجه التقريب كنت اقوم مساء بالتدريس كالمعتاد ، واذا بزوجتي تحضر الى وتخطرني بوصول اشارة من البوليس لاستدعائي لتسلم امر التجنيد ، وبدات في تلك اللحظة ادرس الموقف وادبر خطة الهرب . كنت اعرف ان امامي ما يقرب من ثلاثة ايام لكي اسلم نفسي لادارة التجنيد ، ولكني كنت اعلم انني ان لم انفذ الامر الذي يبدأ البحث عني قبل ثلاثة او اربعة ايام اخرى ، اي انني قدرت لنفسي نحو اسبوع يجب ان اكون قد غادرت خلاله ارض فرنسا ، وفكرت اول الامر في ان ارحل الى احدى البلاد الاوروبية او الى امريكا اللاتينية او اي مكان اخر يمكن ان اجد فيه اصدقاء من تلاميذي وهم كثيرون ، استطيع ان اعتمد على مساعدتهم ولكني قررت اخر الامر ان الجأ وزوجتي وابنتي الى مصر ، ثم شرعت في تنفيذ الخطة .

تكاليف السفر . .

كان علي اولا ان ادبر تكاليف السفر وهي تقرب من مائة وخمسين جنيها ، ولم اكن املك منها الا مبلغا قليلا ، فكان علي ان اسرع في بيع ما استطيع بيعه من كتبي واثاث منزلي ، وكنت انزل الى الاسواق بهذه الاشياء محاولا بيعها باي ثمن وبدقيقة فان الوقت كان قليلا ، وكان المشترون يستغلون هذه الدقيقة في البيع فيساومونني كثيرا ، ثم يبارون لدهم جزءا من الثمن على ان يؤدوه بعد ايام ، ولكني كنت مضطرا للقبول لانقاذ الموقف ، وبعد القضاء من بيع اثاثي حوالي ٧٠٠ دولار ، علما بان الجزائريين — في نظر فرنسا — يعتبرون مواطنين فرنسيين ، تسلك كنت المس عن كثب حالتهم النفسية السيئة نتيجة للاوضاع السياسية التي وجدوا انفسهم فيها .

وكنت اظن — كما تعلمنا في المدارس — ان بلادي هي مهد الحرية والمساواة ، ولكني كنت ارى بعيني كيف يعامل اخواننا الجزائريون معاملة دون معاملة الفرنسيين بكثير ، وكنت اسمع التعليل العجيب لهذه التفرقة وهو القول بان الجزائريين قد حضروا من بلادهم ليزاحموا الفرنسيين ويقاسموهم عيشهم ورزقهم ، بينما الحقيقة انهم كانوا يقومون في فرنسا بمزاولة اعنف الاعمال واشقها كتعبيد الطرق والعمل في المناجم ، وهكذا كنت اشعر بالعطف على هؤلاء الاخوان وعلى نفسيتهم العاذلة .

غادرت بعض الوقت للعمل في امريكا اللاتينية ، وعدت الى فرنسا والتقيت بصديق فرنسي كان يعمل مدرسا في الجزائر ، وحدثني الصديق طويلا عما شاهده هناك ، كيف تعيش الجزائر في ظل الحكم الفرنسي : ضغط واكراه في ابداء الراي ، قتل للحرية الشخصية والروح المعنوية ، فقر شديد يعم كل السكان ، وحالة نفسية منحطة نتيجة التفرقة بين الفرنسيين والجزائريين ، يعتقد الفرنسيون انهم من جنس ارقى واسمى ، وينعكس اعتقادهم هذا في تصرفاتهم مع الجزائريين اهل البلاد ، فيحتقرون اشخاصهم ، وينكرون عليهم الحضارة العربية العريقة التي يعرفها العالم كله .

كان صديقي يحدثني عن الجزائر ، «الجزائر الفرنسية» ، التي وجدت نفسه فيها يوما ما — بعد ذلك بسنوات — مضطرا لان يحارب في القطاع الذي كان يعيش فيه اخوانه من الثوار الجزائريين ، فزاد ذلك في سخطي وفي لوعتي النفسية .

وكنت قد انشأت مجلة حين كنت اعمل في امريكا اللاتينية ، وكنت اغذيها بالمقالات مهاجما الاستعمار ، ثم عدت الى فرنسا لاقوم بالتدريس في « جامعة باريس » وهي تضم عددا من الطلبة المثقفين مهندسين ، ومدرسين ، وفنيين من مختلف الجنسيات ، فمن ايطاليين ، الى المان ، الى روس ، الى امريكيين وغيرهم ، وكان الحديث بيني وبينهم يتناول في كثير من الاحيان موضوع الجزائر ، فكنت اعبر لهم عن آرائي بصراحة كاملة ، وكنت اعلن امامهم بانني وبعض المثقفين من الفرنسيين قد عزمنا على الا نكتفي بالحديث وسوف نحاول ان نعمل شيئا .

وعلمت الحكومة . .

ولما عرفت الحكومة امري كان لا بد ان تحاول اسكاتي والقضاء نهائيا على نشاطي ، وقررت تجنيدي وارسالي الى الجزائر رغم انني لم اكن ادخل في نطاق المطلوبين للتجنيد ، واستشرت في الحال اصدقائي ممن ينتمون الى جماعة « البعث الفرنسي » وهي جماعة تهدف بوجه عام الى القضاء على النظام الحاضر ، وهو نظام مفساد تماما للفكر العالمي ، كما ان هذه الجماعة ترى ان حركة الجزائر انما هي نتيجة طبيعية للمبادئ التي قررتها بلادنا عقب الثورة الفرنسية ، استشرت اصدقائي من محبي الحرية ووالقوا جميعا على اننا يجب ان نناضل حتى تحصل الجزائر على حريتها ، تلك الحرية التي تعتبر جزءا من حرية فرنسا باجمعها .

قررت اذن الا ابي طلب الحكومة في تجنيدها اياي وهربت ، وقبل ان اسرد قصة هربي احب ان اتحدث عن ذلك النشاط القليل الذي كان يتاح لنا ان نبذله لمساعدة اخواننا الجزائريين في فرنسا ، فمثلا كنا نرى اخواننا الجزائريين وهم يكادون يموتون من شدة البرد في ايام الشتاء ، حيث تصل درجة الحرارة ليلا الى ما يقرب من ١٨ او ١٩ درجة تحت الصفر ، وعندئذ كانوا لفقرهم لا يجدون غطاء كافيا يقيهم كثير من الاحوال يبيتون في الشوارع ، فكنت وزملائي نحمل اليهم ما نستطيع

ديلاجيس مع زوجته وابنته

من مال وغطاء وكساء دون ان يعرف ذلك احد ، وكنا نعلم ان البوليس يهاجم في كثير من الاحيان تلك الاحياء التي يتجمع فيها الجزائريون ، ويقوم بحملات تفتيشية في الظاهر ، الا انه كان يقوم بتعذيبهم واساءة معاملتهم الى اقصى الحدود ، لذا نلجا الى طريق خاصة [illegible] التي سيقوم البوليس بمهاجمتها [illegible] من الجزائريين سرا [illegible] من يفلتوا من التعذيب [illegible]

في بلاد [illegible] . . !

وكثير من الجزائريين [illegible] الفاكهة على عربات في شوارع باريس ، فكان يحدث ان يقبض عليهم البوليس بحجة مراجعة اوراقهم ثم يقودونهم الى الاقسام حيث يحجزونهم يوما او يومين ريثما تفسد فاكهتهم التي يرتزقون منها ويتركونهم يموتون جوعا بعد ذلك ، فكنت وزملائي ننتشر في اماكن مختلفة لنرقب عمل البوليس هذا ، وحينئذ نتدخل في الامر ونحدث بعض الحركة والمقاومة حتى نفسد على البوليس خطته وهكذا كانت اشياء صغيرة يستطيع الفرنسيون الاحرار ان يقوموا بها لمساعدة اخوانهم الجزائريين .

واعود الى قصة هروبي من فرنسا فاقول انني تمكنت من ذلك معتمدا على شيء كثير من الحيلة اولا وعلى فساد التنظيم الحكومي ثانيا ، ففي منتصف شهر يونيو على وجه التقريب كنت اقوم مساء بالتدريس كالمعتاد ، واذا بزوجتي تحضر الى وتخطرني بوصول اشارة من البوليس لاستدعائي لتسلم امر التجنيد ، وبدات في تلك اللحظة ادرس الموقف وادبر خطة الهرب . كنت اعرف ان امامي ما يقرب من ثلاثة ايام لكي اسلم نفسي لادارة التجنيد ، ولكني كنت اعلم انني ان لم انفذ الامر الذي يبدأ البحث عني قبل ثلاثة او اربعة ايام اخرى ، اي انني قدرت لنفسي نحو اسبوع يجب ان اكون قد غادرت خلاله ارض فرنسا ، وفكرت اول الامر في ان ارحل الى احدى البلاد الاوروبية او الى امريكا اللاتينية او اي مكان اخر يمكن ان اجد فيه اصدقاء من تلاميذي وهم كثيرون ، استطيع ان اعتمد على مساعدتهم ولكني قررت اخر الامر ان الجأ وزوجتي وابنتي الى مصر ، ثم شرعت في تنفيذ الخطة .

تكاليف السفر . .

كان علي اولا ان ادبر تكاليف السفر وهي تقرب من مائة وخمسين جنيها ، ولم اكن املك منها الا مبلغا قليلا ، فكان علي ان اسرع في بيع ما استطيع بيعه من كتبي واثاث منزلي ، وكنت انزل الى الاسواق بهذه الاشياء محاولا بيعها باي ثمن وبدقيقة فان الوقت كان قليلا ، وكان المشترون يستغلون هذه الدقيقة في البيع فيساومونني كثيرا ، ثم يبارون لدهم جزءا من الثمن على ان يؤدوه بعد ايام ، ولكني كنت مضطرا للقبول لانقاذ الموقف ، وبعد القضاء من بيع اثاثي حوالي ٧٠٠ دولار ، علما بان الجزائريين — في نظر فرنسا — يعتبرون مواطنين فرنسيين ، تسلك كنت المس عن كثب حالتهم النفسية السيئة نتيجة للاوضاع السياسية التي وجدوا انفسهم فيها .

وكنت اظن — كما تعلمنا في المدارس — ان بلادي هي مهد الحرية والمساواة ، ولكني كنت ارى بعيني كيف يعامل اخواننا الجزائريون معاملة دون معاملة الفرنسيين بكثير ، وكنت اسمع التعليل العجيب لهذه التفرقة وهو القول بان الجزائريين قد حضروا من بلادهم ليزاحموا الفرنسيين ويقاسموهم عيشهم ورزقهم ، بينما الحقيقة انهم كانوا يقومون في فرنسا بمزاولة اعنف الاعمال واشقها كتعبيد الطرق والعمل في المناجم ، وهكذا كنت اشعر بالعطف على هؤلاء الاخوان وعلى نفسيتهم العاذلة .

غادرت بعض الوقت للعمل في امريكا اللاتينية ، وعدت الى فرنسا والتقيت بصديق فرنسي كان يعمل مدرسا في الجزائر ، وحدثني الصديق طويلا عما شاهده هناك ، كيف تعيش الجزائر في ظل الحكم الفرنسي : ضغط واكراه في ابداء الراي ، قتل للحرية الشخصية والروح المعنوية ، فقر شديد يعم كل السكان ، وحالة نفسية منحطة نتيجة التفرقة بين الفرنسيين والجزائريين ، يعتقد الفرنسيون انهم من جنس ارقى واسمى ، وينعكس اعتقادهم هذا في تصرفاتهم مع الجزائريين اهل البلاد ، فيحتقرون اشخاصهم ، وينكرون عليهم الحضارة العربية العريقة التي يعرفها العالم كله .

كان صديقي يحدثني عن الجزائر ، «الجزائر الفرنسية» ، التي وجدت نفسه فيها يوما ما — بعد ذلك بسنوات — مضطرا لان يحارب في القطاع الذي كان يعيش فيه اخوانه من الثوار الجزائريين ، فزاد ذلك في سخطي وفي لوعتي النفسية .

وكنت قد انشأت مجلة حين كنت اعمل في امريكا اللاتينية ، وكنت اغذيها بالمقالات مهاجما الاستعمار ، ثم عدت الى فرنسا لاقوم بالتدريس في « جامعة باريس » وهي تضم عددا من الطلبة المثقفين مهندسين ، ومدرسين ، وفنيين من مختلف الجنسيات ، فمن ايطاليين ، الى المان ، الى روس ، الى امريكيين وغيرهم ، وكان الحديث بيني وبينهم يتناول في كثير من الاحيان موضوع الجزائر ، فكنت اعبر لهم عن آرائي بصراحة كاملة ، وكنت اعلن امامهم بانني وبعض المثقفين من الفرنسيين قد عزمنا على الا نكتفي بالحديث وسوف نحاول ان نعمل شيئا .

وعلمت الحكومة . .

ولما عرفت الحكومة امري كان لا بد ان تحاول اسكاتي والقضاء نهائيا على نشاطي ، وقررت تجنيدي وارسالي الى الجزائر رغم انني لم اكن ادخل في نطاق المطلوبين للتجنيد ، واستشرت في الحال اصدقائي ممن ينتمون الى جماعة « البعث الفرنسي » وهي جماعة تهدف بوجه عام الى القضاء على النظام الحاضر ، وهو نظام مفساد تماما للفكر العالمي ، كما ان هذه الجماعة ترى ان حركة الجزائر انما هي نتيجة طبيعية للمبادئ التي قررتها بلادنا عقب الثورة الفرنسية ، استشرت اصدقائي من محبي الحرية ووالقوا جميعا على اننا يجب ان نناضل حتى تحصل الجزائر على حريتها ، تلك الحرية التي تعتبر جزءا من حرية فرنسا باجمعها .

قررت اذن الا ابي طلب الحكومة في تجنيدها اياي وهربت ، وقبل ان اسرد قصة هربي احب ان اتحدث عن ذلك النشاط القليل الذي كان يتاح لنا ان نبذله لمساعدة اخواننا الجزائريين في فرنسا ، فمثلا كنا نرى اخواننا الجزائريين وهم يكادون يموتون من شدة البرد في ايام الشتاء ، حيث تصل درجة الحرارة ليلا الى ما يقرب من ١٨ او ١٩ درجة تحت الصفر ، وعندئذ كانوا لفقرهم لا يجدون غطاء كافيا يقيهم كثير من الاحوال يبيتون في الشوارع ، فكنت وزملائي نحمل اليهم ما نستطيع

ابتسامة من الخارج

بساط الريح .. ينتظر اشارة المرور !.

كنت اعلم انني ان لم انفذ الامر الذي يبدأ البحث عني قبل ثلاثة او اربعة ايام اخرى ، اي انني قدرت لنفسي نحو اسبوع يجب ان اكون قد غادرت خلاله ارض فرنسا ، وفكرت اول الامر في ان ارحل الى احدى البلاد الاوروبية او الى امريكا اللاتينية او اي مكان اخر يمكن ان اجد فيه اصدقاء من تلاميذي وهم كثيرون ، استطيع ان اعتمد على مساعدتهم ولكني قررت اخر الامر ان الجأ وزوجتي وابنتي الى مصر ، ثم شرعت في تنفيذ الخطة .

تكاليف السفر . .

كان علي اولا ان ادبر تكاليف السفر وهي تقرب من مائة وخمسين جنيها ، ولم اكن املك منها الا مبلغا قليلا ، فكان علي ان اسرع في بيع ما استطيع بيعه من كتبي واثاث منزلي ، وكنت انزل الى الاسواق بهذه الاشياء محاولا بيعها باي ثمن وبدقيقة فان الوقت كان قليلا ، وكان المشترون يستغلون هذه الدقيقة في البيع فيساومونني كثيرا ، ثم يبارون لدهم جزءا من الثمن على ان يؤدوه بعد ايام ، ولكني كنت مضطرا للقبول لانقاذ الموقف ، وبعد القضاء من بيع اثاثي حوالي ٧٠٠ دولار ، علما بان الجزائريين — في نظر فرنسا — يعتبرون مواطنين فرنسيين ، تسلك كنت المس عن كثب حالتهم النفسية السيئة نتيجة للاوضاع السياسية التي وجدوا انفسهم فيها .

وكنت اظن — كما تعلمنا في المدارس — ان بلادي هي مهد الحرية والمساواة ، ولكني كنت ارى بعيني كيف يعامل اخواننا الجزائريون معاملة دون معاملة الفرنسيين بكثير ، وكنت اسمع التعليل العجيب لهذه التفرقة وهو القول بان الجزائريين قد حضروا من بلادهم ليزاحموا الفرنسيين ويقاسموهم عيشهم ورزقهم ، بينما الحقيقة انهم كانوا يقومون في فرنسا بمزاولة اعنف الاعمال واشقها كتعبيد الطرق والعمل في المناجم ، وهكذا كنت اشعر بالعطف على هؤلاء الاخوان وعلى نفسيتهم العاذلة .

غادرت بعض الوقت للعمل في امريكا اللاتينية ، وعدت الى فرنسا والتقيت بصديق فرنسي كان يعمل مدرسا في الجزائر ، وحدثني الصديق طويلا عما شاهده هناك ، كيف تعيش الجزائر في ظل الحكم الفرنسي : ضغط واكراه في ابداء الراي ، قتل للحرية الشخصية والروح المعنوية ، فقر شديد يعم كل السكان ، وحالة نفسية منحطة نتيجة التفرقة بين الفرنسيين والجزائريين ، يعتقد الفرنسيون انهم من جنس ارقى واسمى ، وينعكس اعتقادهم هذا في تصرفاتهم مع الجزائريين اهل البلاد ، فيحتقرون اشخاصهم ، وينكرون عليهم الحضارة العربية العريقة التي يعرفها العالم كله .

كان صديقي يحدثني عن الجزائر ، «الجزائر الفرنسية» ، التي وجدت نفسه فيها يوما ما — بعد ذلك بسنوات — مضطرا لان يحارب في القطاع الذي كان يعيش فيه اخوانه من الثوار الجزائريين ، فزاد ذلك في سخطي وفي لوعتي النفسية .

وكنت قد انشأت مجلة حين كنت اعمل في امريكا اللاتينية ، وكنت اغذيها بالمقالات مهاجما الاستعمار ، ثم عدت الى فرنسا لاقوم بالتدريس في « جامعة باريس » وهي تضم عددا من الطلبة المثقفين مهندسين ، ومدرسين ، وفنيين من مختلف الجنسيات ، فمن ايطاليين ، الى المان ، الى روس ، الى امريكيين وغيرهم ، وكان الحديث بيني وبينهم يتناول في كثير من الاحيان موضوع الجزائر ، فكنت اعبر لهم عن آرائي بصراحة كاملة ، وكنت اعلن امامهم بانني وبعض المثقفين من الفرنسيين قد عزمنا على الا نكتفي بالحديث وسوف نحاول ان نعمل شيئا .

وعلمت الحكومة . .

ولما عرفت الحكومة امري كان لا بد ان تحاول اسكاتي والقضاء نهائيا على نشاطي ، وقررت تجنيدي وارسالي الى الجزائر رغم انني لم اكن ادخل في نطاق المطلوبين للتجنيد ، واستشرت في الحال اصدقائي ممن ينتمون الى جماعة « البعث الفرنسي » وهي جماعة تهدف بوجه عام الى القضاء على النظام الحاضر ، وهو نظام مفساد تماما للفكر العالمي ، كما ان هذه الجماعة ترى ان حركة الجزائر انما هي نتيجة طبيعية للمبادئ التي قررتها بلادنا عقب الثورة الفرنسية ، استشرت اصدقائي من محبي الحرية ووالقوا جميعا على اننا يجب ان نناضل حتى تحصل الجزائر على حريتها ، تلك الحرية التي تعتبر جزءا من حرية فرنسا باجمعها .

قررت اذن الا ابي طلب الحكومة في تجنيدها اياي وهربت ، وقبل ان اسرد قصة هربي احب ان اتحدث عن ذلك النشاط القليل الذي كان يتاح لنا ان نبذله لمساعدة اخواننا الجزائريين في فرنسا ، فمثلا كنا نرى اخواننا الجزائريين وهم يكادون يموتون من شدة البرد في ايام الشتاء ، حيث تصل درجة الحرارة ليلا الى ما يقرب من ١٨ او ١٩ درجة تحت الصفر ، وعندئذ كانوا لفقرهم لا يجدون غطاء كافيا يقيهم كثير من الاحوال يبيتون في الشوارع ، فكنت وزملائي نحمل اليهم ما نستطيع

هذه هي القصة

هذه هي القصة . . القصة رواها فرنسكو ديلاجيس ، الفرنسي الذي عرف الحرية لعمل من اجلها وجاء الى مصر هاربا من فرنسا التي تدعي انها مهد الحرية والاخاء والمساواة .

ان كفاح العرب اليوم يلقى صداه في جميع دول العالم والشعوب الحرة في كل مكان تنتصر للكفاح الشريف الذي يستهدف الكرامة والاستقلال .

ودول الاستعمار نفسها تواجه اليوم من ابنائها ثورة على سياسة البطش والطغيان . . وفرنسا . . فرنسا التي تحتل نصف افريقيا ترى الفرنسيين انفسهم يؤيدون حركة التحرير الجزائرية ، التي تعلم فرنسا باخماد ان تملح الاستقلال التام ، وان تكون اتحادا فدراليا مع دول افريقيا ، كما اظن ان تونس ومراكش تستطيعان ان تلعبا دورا هاما في تحرير الجزائر ، فان الحكومة الفرنسية تستطيع بين يوم واخر ان ترى مراكش وتونس تلجآن الى المنظمات الدولية لتنظيمها الداخلي ، وان ترى العالم باجمعه يطلب بطريقة رسمية تدخلا دوليا لسببين : اولهما ان محنة الجزائر تحمل جرثومة الحرب في مراكش وتونس والسنغال وفي كل افريقيا وربما لحرب عالمية ، وثانيهما ان الاستمرار والتوسع في حرب الجز